أطفالنا
في رحاب
القرآن
الكريم

٧٨

آيات وقصة

يا يحيى خذ الكتاب بقوة



رزق هيبة

أطفالنا في رحاب القرآن الكريم

آيات وقصة

٧٨

يا يحيى خذ الكتاب بقوة

رزق هيبة

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥

٦ أ شارع جواد حسني - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧

www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

«أولادنا»

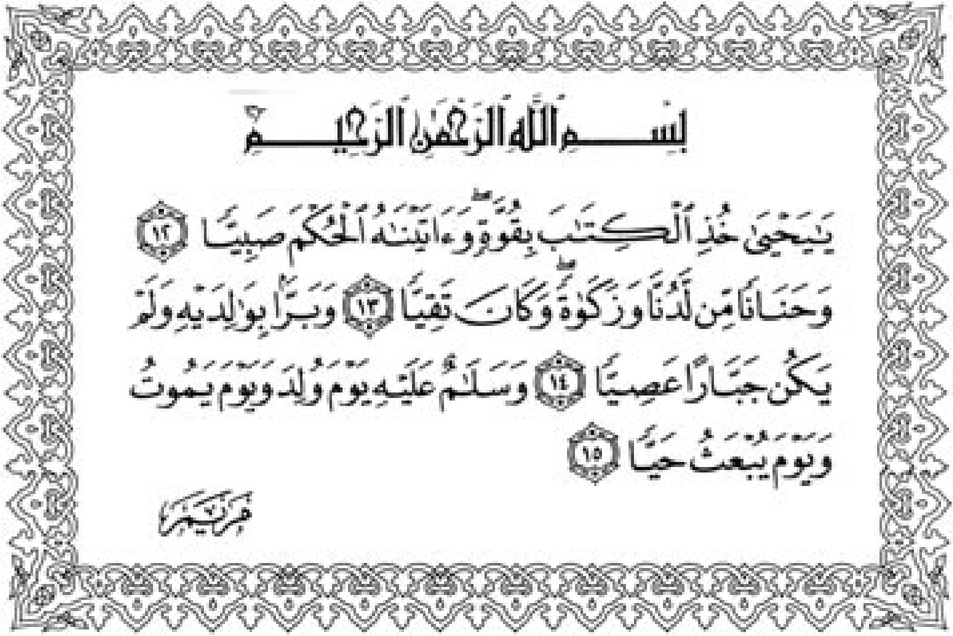
أمانة غالية، نعمة اللَّه، أمرنا بالحفاظ عليهم، ورعايتهم بالتربية السليمة.. وهذه السلسلة:

– تربِّى أولادَنا تربية إسلاميَّةً تعتمدُ عَلَى هُدًى مِنْ كِتاب اللَّه «القرآن الكريم» تعرِضُ القصصَ على حسَبِ ترتيبِ المصْحَفِ لتكوِّنَ فى النهايةِ «التفسيرَ القصَصىَّ للقرآنِ الكريمِ للناشئينَ» وهمْ فى حَاجَةٍ ماسَّةٍ إِلَى هذا التفسير الذى يَصِلُهمْ بماضِيَهُمْ العريقِ، ويعدُّهُمْ لحاضِرِهمْ ومُسْتَقْبَلِهِمْ.

– وفى هذه الطَّبعةِ الجَديدَةِ حَرصْنَا أنْ تكونَ الفائدةُ أكبَر، فقدَّمنا فِى آخرِ كلِّ قصَّةٍ ملحقًا مِنْ شقَّيْنِ.. الشقُّ الأوَّلُ عدَّةُ أَسْئِلَةٍ تَحْفزُ القَارِئَ عَلَى أنْ يُعيدَ القراءَةَ ويتأمَّلَ القصَّةَ جَيداً ليجيبَ عن هذه الأسئلَةِ، فتستقرَّ المعَانى فى ذِهْنِهِ، ويزيدَ عِلْمًا بمَا فيها مِنْ قِيمَةٍ دينيةٍ هى الثمرةُ التى نَرْجُوْهَا من نشْرِ هذِهِ القصَصِ.

– أما الشقُّ الثانى من الملحَقِ فهوَ دُروسٌ فى قواعدِ اللغَةِ العربيَّةِ «علم النَّحْوِ» إذا تَتبَّعهَا القَارِئ دَرْسًا بَعْدَ درسٍ من بدايَةِ السِّلْسلةِ إِلَى آخرِهَا يَصيرُ عَلَى عِلْمٍ بالحدِّ الأدْنَى مِنْ قواعدِ النحوِ التِى لا يَنْبَغِى لقَارِئ أنْ يجهلَها، فيستقيمَ لسَانُهُ، وتسلَمَ قراءَتُهُ مِنَ اللَّحْنِ والخطَأ..

وبهذه القصَصِ وما يَتبَعُهَا من دُروسٍ فى اللغَةِ نكونُ قَد حصلْنَا عَلَى فَائدةٍ مزدوجَةٍ، مِنْ قيمٍ دينيةٍ ومعرفَةٍ بقواعد لغتنَا، وَهُوَ مَا يَنْبَغِى أنْ نربى عَلَيْه أجْيَالَ أبْنائنَا القَادمةِ.. فنستعيدَ مجدَ الماضِى عَلَى أسُسٍ مِنْ حَضَارَةِ المسْتَقْبَلِ.. ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِين إِمَامًا** ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان].



معانى الكلمات:

– **الكِتَابَ**: هو التوراة التى أنزلها الله على موسى – عليه السلام – لأنَّ يحيى – عليه السلام – كان امتداداً لرسالة موسى – عليه السلام – والصحيح أن يحيى لم ينزل عليه كتاب خاص به.

٢– **بِقُوَّةٍ**: أى بجد واجتهاد، والتزام أوامر الله، واجتناب نواهيه.

٣– **الحُكْمَ**: أى الحكمةُ وطاعة الله وهو لا يزال صغيراً.

٤– **وَحَنَانًا**: الشفقة والمحبة للناس حتى يخلِّصَهُم من الكفر والشرك.

٥– **وَزَكَاةً**: الزكاة هى البركة والتطهر.

٦– **وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ**: البَرُّ بمعنى البار، وهو الكثير البر والشفقة وصلة الأرحام والتعطف على كل الناس.

٧– **الجَبَّارُ**: المتكبر، غليظ القلب، كثير الإيذاء للآخرين.

٨– **سَلامٌ عَلَيْهِ**: أمان له من الله، وتحية من الناس، طول حياته وبعد مماته، ويوم يبعثه الله يوم القيامة.

بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ مِنْ يَوْمِ الجمعَةِ، وَقَدْ عَادَ أَبُو أيْمَنَ وأَيْمَنُ وَأَشْرَفُ مِنَ المَسْجِدِ إِلَى البَيْتِ، جَلَسُوا جَمِيعًا فِى غُرْفَةِ المَعِيشَةِ، يَحْتَسُونَ أَقْدَاحَ الشَّاى الَّتِى حَمَلَتَّا لَهُم إِيمانُ، ومَعَهُمْ أمُّ أيمنَ، بعْدَ أنْ عَافَاهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَعْكَةٍ كَانَتْ قَدْ أَلَمَّتْ بِهَا، فَنَهَضَتْ مِنَ الفِرَاشِ، وَجَلَسَتْ مَعَهُمْ تأنَسُ بِهِمْ، ويأنَسُونَ بِهَا.

قَالَ أبُو أيمنَ: فِى الجَلْسَةِ السَّابِقَةِ كُنَّا مَعَ قِصَّةِ ذِى القَرْنَيْنِ، وَبِهَا تَمَّت سُورَةُ الكَهْفِ، وَمَعَنَا اللَّيْلَةَ قِصَّةٌ أُخْرَى مَعَ بِدَايَةِ سُورَةِ مَرْيَمَ، وَلَعَلَّكُمْ تَذْكُرُونَ أنَّنَا فِى جَلَسَاتٍ سَابِقَةٍ، وبالتَّحْدِيدِ فِى الجَلْسَةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ وَحَتَّى الجلْسَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ، ذَكَرْنَا آياتٍ مِنْ سُورةِ آلِ عِمْرانَ جَاءَتْ فِيهَا قِصَّة زَكَرِيَّا - عَلَيْهِ السَّلامُ - وَقِصَّةُ امْرَأَةِ عِمْرَانَ، وابْنَة عِمْرَانَ، وَمَرِيَمَ، وَوَلَدِهَا المَسِيحِ عِيسَى ابن مَرْيَمَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - والآيَاتُ الَّتِى سَنَذْكُرُهَا اللَّيْلَةَ فِيهَا طَرَفٌ مِنْ هَذِهِ القِصَصِ، وَمَوَاقِفُ أُخْرَى لَمْ نَذْكُرْهَا هُنَاكَ.

واعْتَدَلَ أبُو أيمنَ فِى جَلْسَتِهِ، ثُمَّ قَالَ:

ولْيَبْدَأ وَلَدُنَا أشْرَفُ بِتِلاوَةِ تِلْكَ الآيَاتِ الَّتِى تُحَدِّثُنَا عَنْ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى - عَلَيْهِمَا السَّلامُ - مِنْ سُورَةِ مَرْيَم.

واسْتَعَاذَ أشْرَفُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ بَدَأَ يَتْلُو الآيَاتِ إِلَى أنِ انْتَهَى مِنَ الآيَةِ الخَامِسَةَ عَشْرَةَ، وَهِىَ نِهَايَةُ قِصَّةِ يَحْيَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ.

قَالَتِ الأُسْرَةِ كُلُّهَا : صَدَقَ اللَّهُ العَظِيم .

قَالَ الوَالِدُ : تَذْكُرُونَ وَلا شَكَّ دُعَاءَ زَكَرِيَّا – عَلَيْهِ السَّلامُ – أنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ ذُرِّيَّةً صَالِحَةً تَرِثُ عَنْهُ عِلْمَهُ وَتُبَلِّغُهُ مِنْ بَعْدِه، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أنْ ﴿ **يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧)** ﴾، ﴿ **قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠)** ﴾ [مريم] .

وَهُنَا يَقُولُ بَعْضُ المفَسِّرِينَ أنَّ زَكَرِيَّا – عَلَيْهِ السَّلامُ – بَعْدَ تَلَقِّيهِ هَذِهِ البُشْرَى اعْتَرَاهُ سَكْتٌ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ وَلا عِلَّةٍ، وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ العَلامَةُ الَّتِى طَلَبَهَا مِنْ رَبِّهِ لِيَعْرِفَ بِهَا أنَّ امْرَأَتَهُ حَامِلٌ، فَكَانَ لا يُمْكِنُهُ أنْ يُكَلِّمَ النَّاسَ، إلا رَمْزًا أوْ بالإِشَارَةِ، فَإِذَا أرَادَ التَّسْبِيحَ أطْلَقَ اللَّهُ لِسَانَهُ، فَيَذْكُرُ رَبَّهُ بِمَا يَشَاءُ مِنْ كَلِمَاتِ الذِّكْرِ والتَّحْمِيد .

وَقَدْ صَدَقَتِ الآيَةُ كَمَا صَدَقَتِ البُشْرَى، فَقَدْ بَدَأَ الحملُ عَلَى اليصَابَاتِ زَوْجَةِ زَكَرِيَّا – عَلَيْهِ السَّلامُ – وَيَزْدَادُ مَعَ مُرورِ الأيَّامِ والشُّهُورِ، فَيَزْدَادُ آلُ زَكَرِيَّا – عَلَيْهِ السَّلامُ – إِقْبَالاً عَلَى الذِّكْرِ والتَّسْبِيحِ، والطَّاعَةِ وَالعِبَادَةِ؛ لأنَّهُمْ يَرَوْنَ بِأُمِّ العَيْنِ قُدْرَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَتَجَلَّى ظَاهِرَةً للْعِيَانِ، فِى حَمْلِ اليصَابَاتِ العَجُوزِ العَقِيمِ، وَزَوْجُهَا زَكَرِيَّا – عَلَيْهِ السَّلامُ – شَيْخٌ قَدْ بَلَغَ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا .

قَالَتْ إِيمانُ : لِى هُنَا مُلاحَظَةٌ يَا أَبِى، فَقَدْ قُلْتَ لَنَا مِنْ قَبْلُ أنَّ زَوْجَةَ زَكَرِيَّا – عَلَيْهِ السَّلامُ – كَانَ اسْمُهَا إِيشَاعَ، والآنَ تَقُولُ أنَّ اسْمَهَا اليَصَابَاتُ، فَلِمَ هَذَا الاخْتِلافُ، وَأَىُّ الاسْمَيْنِ هُوَ الصَّحِيحُ؟

قَالَ أَبُو أيمنَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكِ يَا بُنَيَّتِى، هَذِهِ مُلاحَظَةٌ ذَكِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى أنَّكِ تَسْتَوْعِبِينَ مَا تَسْمَعِينَ، فَزَادَكِ اللَّهُ فَهْمًا، وَحَفظَ عَلَيْكِ ذَكَاءَكِ، أمَّا هَذَا الاخْتِلافُ فَسَبَبُهُ أنَّ هَذِهِ الأسْمَاءَ كَانَتْ بِاللُّغَةِ السِّرْيَانِيَّةِ، وَقَدْ يُخْطِئُ بَعْضُ المترْجِمِينَ، وإِنْ كَانَ الصَّحِيحُ أنَّ الأسْمَاءَ لا تُتَرْجَمُ، ولَكِنْ عِنْدَنَا مَثَلاً اسْمُ يَحْيَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - يَذْكُرُهُ أَهْلُ الكِتَابِ فِى كُتُبِهِمْ بِاسْمِ يُوحَنَّا، وَيُونُسُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - بَاسْمِ يُونَانُ، ونَحْنُ نَتْبَعُ الأسْمَاءَ الَّتِى وَرَدَتْ فِى القُرْآنِ الكَرِيمِ بِنَصِّهَا، أمَّا مَا لَمْ يأتِ ذِكْرهُ فِى القُرْآنِ الكَرِيمِ، فَقَدْ يَنْقلُهُ المؤرِّخُونَ، وَيُصِيبُونَ فِيهِ أوْ يُخْطِئُونَ، وَأنَا شَخْصيًّا أَمِيلُ إِلَى أنَ اسْمَ زَوْجَةِ زَكَرِيَّا - عَلَيْهِ السَّلامُ - اليصَابَاتُ، فَهكَذَا يَقُولُ جُمْهُورُ المؤرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ.

وتَنَاوَلَ أبُو أيمنَ بَعْضَ رَشَفَاتٍ مِنَ المَاءِ، ثُمَّ اسْتَأنَفَ الحَدِيثَ، قَالَ: لنَعُدْ إِلَى ذِكْرِ اليصَابَاتُ، إِذْ تَمَّتْ أشْهُرَ حَمْلِهَا وَوَضَعَتْ مَوْلُودَهَا يَحْيَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - فَفَرِحَ بِهِ أبَوَاهُ فَرَحًا شَدِيدًا، وَأَثْنَيَا عَلَى رَبِّهِمَا ثَنَاءً عَظِيمًا، وحَمِدَاهُ حَمْدًا لا يَنْقَطِعُ، فِى تَبَتُّلٍ وَعِبَادَةٍ وَإِخْلاصٍ، إِذْ تَجَلَّت فِيهِمَا وَفِى وَلِيدِهِمَا آيَاتُ اللَّهِ وَمُعْجزَاتُهُ.

وَنَشَأ يَحْيَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - نَشْأَةً غَيرَ مَألُوفَةٍ، وَغَيْرَ عَادِيَّةٍ، مُنْذُ سَنَوَاتِ عُمْرِهِ الأُولَى، فَكَانَ آيَةً فِى الصَّلاحِ وَالتَّقْوَى، يَنْطِقُ بالحِكْمَةِ وَالقَوْلِ الفَصْلِ، فَيَسْمَعُ لَهُ الشُّيُوخُ وَالكُبَرَاءُ، حَتَّى أصْحَابُ السُّلْطَانِ وَالنُّفُوذِ..!

وُلِدَ يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – نَبِيًّا، يَحْمِلُ إِلَى مُجْتَمَعِهِ وَقَوْمِهِ رِسَالَةَ الهِدَايَةِ فِى التَّوْحِيدِ وَالعِبَادَةِ، وَسُبُلِ الخَيْرِ، والبُعْدِ عَنِ الضَّلالَةِ، وَلَقَدْ كَانَ فِى صِبَاهُ مَرْجِعًا مُهِمًّا، يَعُودُ إِلَيْهِ النَّاسُ، فِى أَكْثَرِ – بَلْ فِى كُلِّ – قَضَايَاهُمْ وَمُشْكِلاتِهِمْ، ومَا اسْتَعْصَى عَلَيْهِمْ مِنَ الأُمُورِ، فَيَقُولُ – بِمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ – مَا يَدُلُّهُمْ إِلَى الخَيْرِ، وَيَحجزُ عَنْهُمْ الشَّرَّ والإِثْمَ والعِصْيَانَ، وَكَانَ يَتْبَعُ فِى ذَلِكَ تَعَالِيمَ التَّوْرَاةِ الَّتِى جَاءَ بِهَا مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ.

والتَفَتَ أَبُو أيمنَ إِلَى أشْرَفَ، وقَالَ لَهُ: لَقَدْ كُنْتَ يَا أشْرَفُ سَأَلْتَنِى عَنِ الكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – وَأَظُنُّكَ الآنَ قَدْ فَهِمْتَ أنَّ يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – لَمْ يَأتِ بِكِتَابٍ جَدِيدٍ، وإِنَّمَا كَانَ تَابِعًا لِمُوسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – وآخِذًا لِلكِتَابِ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – بِقُوَّةٍ واجْتِهَادٍ.

قَالَ أشْرَفُ: نَعَمْ يَا وَالِدِى، وَلَقَدْ زِدْتَنِى عَلَى مَا أرَدْتُ الاسْتِفْسَارَ عَنْهُ، فَبَارَكَ اللَّهُ لَنَا فِيكَ، وأطَالَ عُمْرَكَ، وَعَلَّمْنَا مِنْ عِلْمِكَ مَا نَكُونُ بِهِ مِنَ الرَّاشِدِينَ المُرْشِدِينَ.

قَالَ أَبُو أيمنَ: هَذَا هُوَ يَا أعِزَّائِى مَعْنَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢)** ﴾.

وَالمُرَادُ بِالقُوَّةِ هُنَا، الصَّلابَةُ فِى الرَّأىِ بِمَا يُوحِى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ، وَبِمَا عَرَفَهُ مِنْ عُلُومِ التَّوْرَاةِ، مِنْ أحْكَامٍ وَتَشْرِيعَاتٍ يَقُولُهَا، وَيَعْمَلُ بِهَا، وَيَحْمِلُ

النَّاسَ عَلَيْهَا، دُونَ خَشْيَةٍ مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ حَاكِمٍ أو مَلِكٍ، ذَلِكَ أَنَّ الزَّمَنَ، أوِ الفَتْرَةَ الَّتِى عَاشَهَا وعَايَشَهَا يَحْيَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - كَانَتْ فَتْرَةَ تَسَلُّطٍ رُومَانِيٍّ، وَاسْتِبْدَادٍ مِنَ الكَهَنُوتِ اليَهُودِىِّ، أىْ أَنَّ الحُكَّامَ مِنَ الرُّومَانِ، والأحْبَارَ مِنَ اليَهُودِ كَانُوا ذَوِى سُلْطَةٍ وَمَكَانَةٍ وَنُفُوذٍ، لا يُرَدُّ لَهُمْ رَأىٌ، وَلا يَقِفُ فِى وَجْهِ تَأوِيلاتِهِمْ إِنْسَانٌ، مَهْمَا عَلا شَأْنُهُ، وَفِى الوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ هَؤُلاءِ الأحْبَارُ يُفَسِّرُونَ التَّوْرَاةَ، وَيُحَرِّفُونَ فِى تَفْسِيرِهَا، بِمَا يَجْعَلُ هَذِهِ التَّفْسِيرَاتِ وَالتَّأوِيلاتِ تُسَايِرُ مَصَالِحَهُمْ الشَّخْصِيَّةَ، وَتُرْضِى ذَوِى السُّلْطَانِ فِيهِمْ، حَتَّى وإِنْ خَالَفَتْ التَّشْرِيعِ الإِلهِى، أوْ مَالَتْ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِىِّ.

وَأَرْجُو ألا تَظُنُّوا - يَا أحِبَّائِى - أنَّ يَحْيَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - قَدْ أتَى بِتَشْرِيعٍ جَدِيدٍ، فَقَدْ قُلنَا أنَّ رِسَالَتَهُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - مُنْبَثِقَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - التَّوْرَاةِ - الَّتِى أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - وَلَقَدْ أدْخَلَ عَلَيْهَا الأحْبَارُ والكَهَنَةُ عَلَى مَرِّ العُصُورِ تَحْرِيفَاتٍ وَتَأوِيلاتٍ، شَوَّهَتْ نَصَاعَتَهَا، وَضَيَّعَتْ مَعَالِمَهَا، وَأفْقَدَتْهَا نَقَاءَهَا وَصَفَاءَهَا، وانْحَرَفَتْ بِهَا عَنْ هَدْىِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ لا بُدَّ مِنْ الفَهْمِ بِقُوَّةٍ، وَالعِلْمِ بِقُوَّةٍ، وَالمُوَاجَهَةِ أيْضًا بِقُوَّةٍ.

وَكَانَ يَحْيَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - فِى شَأنِهِ هَذَا مُبَكِّرًا، اقْتَضَتْهُ الضَّرُورَةُ، كَىْ لا يَزْدَادَ الانْحِرَافُ، وَتَعُمَّ الضَّلالَةُ، وَلِتَكُونَ أيْضًا آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ عزَّ وَجَلَّ؛ لِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** (١٢) ﴾ أىْ فَتِيًّا، وَشَأْنُ الفِتْيَانِ عَادَةً هُوَ اللَّهْوُ واللَّعِبُ وَعَدَمُ تَحَمُّلِ المَسْئُولِيَّةِ، والانْصِرَافِ عَنِ



الجَدِّ إِلَى الهَزَلِ، وَلَكِنَّ يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَأْخُذْ فِى حَيَاتِهِ بِمَا يأْخُذُ بِهِ الصِّبْيَانُ والفِتْيَانُ مِنَ العَبَثِ، وإِضَاعَةِ العُمْرِ فِيمَا لا يُجْدِى.

يُرْوَى أنَّ جَمَاعَةً مِنَ الفِتْيَانِ أترابِ يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – أىْ مِنْ أصْحَابِهِ الَّذينَ هُمْ فِى مِثْلِ سِنِّهِ، مَرُّوا بِهِ، وَهُمْ فِى غُدُوِّهِمْ إِلَى الحُقُولِ يَتَنَزَّهُونَ وَيَلْعَبُونَ، فَدَعُوهُ كَىْ يُصَاحِبُهُمْ، وَيَأْتِى مَعَهُمْ، قَائِلِينَ لَهُ: اذْهَبْ بِنَا نَلْعَبْ..!!

فَكَانَ جَوَابُهُ – عَلَيْهِ السَّلامُ –: مَا لِلَّعِبِ خُلِقْنَا..!!

وَالَّذِى نَفْهَمُهُ مِنْ جَوَابِ يَحْيَى، أنَّهُ يُدْرِكُ مَدَى المسْئُولِيَّةِ، وَعِظَمَ المهِمَّةِ، وأعْبَاءَ الرِّسَالَةِ، فَلا مَجَالَ لِلَّعِبِ أوِ اللَّهْوِ عِنْدَهُ، وَلا وَقْتَ.

قَالَ أيْمَنُ: لَقَدْ ذَكَّرَنِى جَوَابُ سَيِّدِنَا يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – بِحَادِثَةٍ جَرَتْ لِسَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِى صِبَاهُ يَوْمَ أنْ كَانَ يَرْعَى الغَنَمَ مَعَ رَفِيقٍ لَهُ، وَقَدْ سَمِعَ صَوْتَ مَزَامِيرَ، وَهَرَجٍ وَمَرَجٍ، فَأرَادَ أنْ يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ، وَيَسْتَمْتِعَ، فَطَلَبَ إِلَى صَاحِبِهِ أنْ يَنْتَبِهَ إِلَى الأغْنَامِ رَيْثَمَا يَأْتِى هُوَ، فَذَهَبَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَصْدَرِ الصَّوْتِ، وأطَلَّ عَلَى الجَمْعِ مِنْ فَوْقِ تَلٍّ.. وَمَا هِىَ إِلا لَحَظَاتٍ حَتَّى أخَذَهُ الكَرَى، فَنَامَ واسْتَغْرَقَ فِى النَّوْمِ، وَلَمْ يَصْحُ إِلا وَقَد اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ أشِعَّةُ الشَّمْسِ، ثُمَّ أدْرَكَ أنَّ ذَلِكَ مِنْ حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، وَصَوْنِهِ إِيَّاهُ، عَنِ اللَّهْوِ، وَصَرْفِهِ إِلَى الجِدِّ فِى كُلِّ الأُمُورِ.

قَالَ أبُو أيمَنَ: هَذِهِ – يَا حَبِيبِى – مُلاحَظَةٌ طَيِّبَةٌ، وَلَفْتَةٌ جَيِّدَةٌ، وَذِكْرَى جَمِيلَةٌ، وَمُقَارَنَةٌ فِى مَحلِّهَا، زَادكَ اللَّهُ إِيمَانًا وَفَهْمًا وَعِلْمًا، وَأنْبَتَكُمْ جَمِيعًا نَبَاتًا حَسَنًا، وَأَقَرَّ بِكُمْ أعْيُنَنَا، وَهَكَذَا هُمُ الأنْبِيَاءُ والصَّالِحُونَ، والَّذِينَ يَتْبَعُونَهُمْ بِإِحْسَانٍ، قَدْ تَكَفَّلَ اللَّهُ بِحِفْظِهِمْ وَصَوْنِهِمْ وَرِعَايَتِهِمْ.

واسْتَطْرَدَ أَبُو أيمنَ فِى حَدِيثِهِ قَائِلاً: وَنَعُودُ إِلَى مُتَابَعَةِ الحَدِيثِ عَمَّا حَلَّى بِهِ اللَّهُ تَعَالَى شَخْصِيَّةَ سَيِّدِنَا يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا** (١٣) ﴾ أىْ عَطْفًا وَمَحَبَّةً وَرَحْمَةً، وَرِقَّةً فِى المشَاعِرِ، والأحَاسِيسِ. كُلُّ هَذِهِ هِبَةٌ مِنَّا، وَمِنْحَةٌ مِنْ عِنْدِنَا، لا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُنَا، لأَنَّهَا غَايَةُ الغَايَاتِ، وأرْفَعُ الآيَاتِ، وكَمَا وَهَبْنَاهُ هَذِهِ الصِّفَاتِ الرَّاقِيَةَ زِدْنَاهُ الزَّكَاةَ، أىِ الطَّهَارَةَ مِنَ الدَّنَسِ والآثَامِ، والذُّنُوبِ، كَمَا وَهَبْنَاهُ العَمَلَ الصَّالِحَ، والبَرَكَةَ، فَكَانَ مَعْدِنًا للخَيْرِ والفَضْلِ، وَصُورَةً حَيَّةً لِكُلِّ تِلْكَ المَعَانِى السَّامِيَةِ، مُتَمَثِّلَةً فِى إِنْسَانٍ، ولِهَذَا كُلِّهِ اسْتَحَقَّ الوَصْفَ بِأنَّهُ ﴿ **وَكَانَ تَقِيًّا** (١٣) ﴾ فَالتَّقْوَى أرْفَعُ الصُّورِ الإِيمَانِيَّةِ، تَتَجَلَّى فِى بَشَرٍ سَوِىٍّ، لا يُخْطِئُ وَلا يُذْنِبُ وَلا يَعْصِى.

وَبَدَتْ عَلَى أبِى أيمنَ دَلائِلُ الظَّمَأ، وَلمحَتْ ذَلكَ إيمانُ، فاسْتَأذَنَتْهُ فِى اسْتِرَاحَةٍ قَصِيرَةٍ رَيْثَمَا تُعِدُّ لَهُمْ مَشْرُوبًا بَارِدًا، يَتَنَاوَلُونَهُ، ثُمَّ يَسْتَأنِفُونَ الحَدِيثَ، وَدَعَا لَهَا وَالِدُهَا بِخَيْرٍ وأذِنَ لَهَا، وَبَعْدَ لحَظَاتٍ قِصَارٍ كَانَ الوالِدُ قَدِ اسْتَرَاحَ، وَعَاوَدَ الكَلامَ، فَقَالَ:

لَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ هَذِهِ المعْطَيَاتِ الإلهيَّةِ لسَيِّدِنَا يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – فِي أخْلاقيَّاته وَسُلُوكه، فانْعَكَسَتْ أوَّلَ مَا انْعَكَسَتْ عَلَى عَلاقَته بأَبَوَيْه، زكَرِيَّا – عَلَيْه السَّلامُ – وَاليَصَابَات، وَقَدْ حَظِيَتْ هَذِهِ الأمُّ الكَرِيمَةُ بِعَطَاءِ الحنَانِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فأرْضَعَتْ وَلَدَهَا مَعَ اللَّبَنِ، وَنَشَّأتْهُ عَلَيْه، بِتَقْدِيرٍ مِنَ العَزِيزِ العَلِيمِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، واللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ.

وَيَصِفُ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا صُورَةَ هَذه العَلاقَة الَّتِى كَانَتْ بَيْنَ يَحْيَى وَأَبَوَيْه، وَالَّتِى يَجِبُ أنْ تَكُونَ نبْرَاسًا وَقُدْوَةً، فَيَقُولُ عزَّ من قَائِلٍ: ﴿ **وبرًّا بِوَالِدَيْهِ ولَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا** (١٤) ﴾.

فَبِرُّ الوَالِدَيْنِ أوَّلُ أسَاسٍ تُبْنَى عَلَيْهِ العَلاقَةُ الوَطِيدَةُ بَيْنَ طَرَفَى الأُسْرَة: الآبَاءُ والأبْنَاءُ، وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ الاسْتِقْرَارُ والصَّلاحُ، والفَلاحُ والنَّجَاحُ، ألا تَرَوْنَ أنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الإحْسَانَ إلَى الوَالِدَيْنِ فِى الدَّرَجَةِ التَّالِيَةِ لعِبَادَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِه مُبَاشَرَةً، فأوْصَى بِبِرِّهِمَا فى أكْثَرِ منْ آيَةٍ فِى كِتَابه العَزِيزِ، كَمَا جَعَلَ الشُّكْرَ لَهُمَا تَالِيًا للشُّكْرِ للَّه فَقَالَ جَلَّ شَأنُهُ: ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** (١٤) ﴾ [لقمان].

وَبِهَذَا الإحْسَانِ وَالبِرِّ والشُّكْرِ تَتَمَاسَكُ الأُسْرَةُ، والأسْرَةُ – كَمَا تَعْرِفُونَ يَا أبْنَائِى وتَعْلَمُونَ – هِىَ اللَّبِنَةُ الأُولَى فِى الكِيَانِ الاجْتِمَاعِىِّ، فإذَا صَلَحَتْ صَلَحَ المجتَمَعُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ المجتمعُ كُلُّهُ، وَلا تَسْأَلُونِى بَعْدَ ذَلِكَ أيُّهَا الأحْبَابُ عَنْ تَفَكُّكِ مُجْتَمَعِنَا وَهُزَالِه.



وَالبِرُّ – يَا أحِبَّائِى – هُوَ الإِحْسَانُ فِى القَوْلِ والعَمَلِ، وَمُجَانَبَةُ العُقُوقِ، وإلا كَانَ الإِنْسَانُ جَبَّارًا عَصِيًّا، وَقَدْ نَفَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ سَيِّدنَا يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – كُلَّ مَا يُسِيءُ وَيُشِينُ، وَوفْقًا لِهَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِى تَحَلَّى بِهَا سَيِّدُنَا يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – أمَّنَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِى الحَيَاةِ والمَمَات فَقَالَ عَنْهُ: ﴿ **وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا** (١٥) ﴾ أىْ لَهُ الأمانُ والسَّلامَةُ والسَّلامُ فِى هَذِهِ الأحْوَالِ الثَّلاثَةِ، ذَلكَ أنَّ الإِنْسَانَ أشَدُّ مَا يَشْعُرُ بِالْوَحْشَةِ فِى هَذِهِ المَوَاطِنِ الثَّلاثَةِ: يَوْمَ يُولَدُ، فَيَكُونُ فِى حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى الأنِيسِ وإِلَى الرَّاعِى.. وكَذَلكَ يَوْمَ يَمُوتُ، فَيَنْتَقِلُ مِنْ عَالَمٍ إِلَى عَالَمٍ، مِنْ عَالَمٍ كَانَ يَعْرِفُهُ إِلَى عَالمٍ وَخَلْقٍ وكَائنَاتٍ، لا يَعْرِفُ فِيهَا أحَدًا، فَمَا أحوجَهُ إِلَى الأنِيسِ والرَّاعِى، وَأيْضًا يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا، فَيَرَى نَفْسَهُ فِى مَحْشَرٍ عَظِيمٍ، لا يَتَطَلَّعُ فِيه أحَدٌ إِلَى أحَدٍ، وَلا يَسْألُ فِيهِ أحَدٌ عَنْ أحدٍ ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** (٣٧) ﴾ وَهُنَا تَشْتَدُّ الحَاجَةُ إِلَى الأنِيسِ والرَّاعِى.

﴿ **وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا** (١٥) ﴾.

هَلْ لاحَظْتُمْ – أيُّهَا الأحِبَّةُ – مِمَّنِ السَّلامُ؟

إِنَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.. اللَّهُمَّ أنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، وإِلَيْكَ يَعُودُ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ يَا ذَا الجَلالِ والإِكْرَامِ.

وَيُرْوَى فِى هَذَا الصَّدَدِ أنَّ يَحْيَى وَعِيسَى – عَلَيْهِمَا السَّلامُ – الْتَقَيَا..

فَقَالَ عِيسَى لِيَحْيَى : اسْتَغْفِرْ لِى فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنِّى، أَنَا سَلَّمْتُ عَلَى نَفْسِى، إِذْ قُلْتُ : ﴿ **وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا** ﴿١٥﴾ ﴾ أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ.

قَالَ أَيْمَنُ: وَكَيْفَ التَقَى يَحْيَى وَعِيسَى – عَلَيْهِمَا السَّلامُ –؟

فَأَجَابَ أَبُو أَيْمَنَ: إِنَّهُمَا أَبْنَاءُ خَالَةٍ يَا بُنَىَّ، بَلْ إِنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ أُمَّ يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – خَالَةُ مَرْيَمَ ابْنَةِ عمرانَ أُمِّ المَسِيحِ – عَلَيْهِ السَّلامُ – وَكَانَ يَحْيَى وَعِيسَى – عَلَيْهِمَا السَّلامُ – مُتَقَارِبَيْنِ فِى السِّنِّ، فَعِنْدَمَا وُلِدَ المَسِيحُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – كَانَ يَحْيَى شَابًّا قَدْ آتَاهُ اللَّهُ النُّبُوَّةَ والحُكْمَ، وَقَدْ قَامَ بِمَا أُوكِلَ إِلَيْهِ وَكُلِّفَ بِهِ خَيْرَ قِيَامٍ، دَاعِيًا وَمُبَشِّرًا، مُنْذِرًا وَمُحَذِّرًا وَهَادِيًا، فَكَانَا فِى لِقَاءٍ دَائِمٍ مُسْتَمِرٍّ.

وَقَدْ كَانَ أَكْثرُ مَقَامِ يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – فِى البَرَارِى وَالقِفَارِ، بَعِيدًا عَنْ شُرُورِ النَّاسِ، يَقْتَاتُ مِمَّا تُخْرِجُهُ الأَرْضُ، وَمَا يَتَهَيَّأُ لَهُ مِنْ رِزْقٍ، وَيُقَالُ أَنَّهُ كَانَ أَكْثَرُ طَعَامِهِ الجَرَادَ وَالعَسَلَ البَرِىِّ.

وَكَمَا قُلْنَا – أَيُّهَا الأَحِبَّةُ – أَنَّ يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – أَخَذَ الكِتَابَ الَّذِى هُوَ التَّوْرَاةُ، بِقُوَّةٍ وَجَدٍّ وَاجْتِهَادٍ، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ العِلْمُ فِى الشَّرِيعَةِ المُوسَوِيَّةِ، فَكَانَ مَرْجِعًا لِلنَّاسِ فِى كُلِّ مَا يَسْتَفْتُونَهُ فِيهِ وَيَسْأَلُونَهُ عَنْهُ، وَمِنْ هُنَا كَانَتْ لَهُ السِّيَادَةُ الَّتِى وَصَفَهُ اللَّهُ بِهَا ﴿ وسيدًا ﴾ سُلْطَانًا فِى شُئُونِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَعًا.



لَمْ يَتَزَوَّجْ يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – وَلَمْ يَمِلْ إِلَى النِّسَاءِ مُطْلَقًا، لا عَنْ ضَعْفٍ فِى الخِلْقَةِ وَالبِنْيَةِ، وَلَكِنْ عُزُوفًا عَنْ كُلِّ مُتَعِ الدُّنْيَا، وَلَذَائِذِ الحَيَاةِ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ خَيْرٌ وأبْقَى.

وَلَعَلَّ ذَلِكَ (الحصْرَ) أىْ عَدَمَ الرَّغْبَةِ فِى الزَّوَاجِ، كَانَ بِتَدْبِيرٍ وَتَقْدِيرٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِتَكْتَمِلَ الصُّورَةُ الجَلِيَّةُ النَّقِيَّةُ فِى شَخْصِ يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ –.

قَالَ أيْمَنُ: وَلِذَلِكَ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وحصوراً﴾.. ألَيْسَ كَذَلِكَ يَا أَبِى؟

قَالَ الوَالِدُ: نَعَمْ يَا بُنَىَّ.

ثُمَّ أضَافَ:

وَلَقَدْ كَانَ لِيَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – يَوْمٌ فِى العَامِ يَأْتِى فِيهِ نَهْرَ الأرْدُنِ، وَيُسَمُّونَهُ «نهرَ الشَّرِيعَةِ» يَغْتَسِلُ هُنَاكَ، حَيْثُ يَتَوَافَدُ عَلَيْهِ النَّاسُ فَيَغْسِلُهُمْ بِيَدِهِ، رَمْزًا لِتَطْهِيرِهِمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وآثَامِهِمْ، وَتَوْبَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَلَقَدْ جَاءَ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – مَعَ الوَافِدِينَ، فَغَسَلَهُ يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – بِيَدِهِ، وَمِنْ هُنَا يَقُولُ النَّصَارَى «بِالمَعْمُودِيَّةِ» وَهِىَ صَبُّ المَاءِ عَلَى الطِّفْلِ المَوْلُودِ، تَطْهِيرًا لَهُ مِنَ الخَطِيئَةِ!! وإِشَارَةً إِلَى انْتِمَائِهِ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ.. وَهَذَا – وَلا شَكَّ – خَلْطٌ وَعَبَثٌ، وَتَحْرِيفٌ لِلمَفْهُومِ الرَّمْزِىِّ الَّذِى قَصَدَهُ سَيِّدُنَا يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ –.



وَلَقَدْ سَرَتْ هَذِهِ الأسْطُورَةُ إِلَى مَفْهُومِ العَقِيدَةِ عِنْدَ النَّصَارَى، مِنْ رِوَايَةِ التَّوْرَاةِ المحرَّفَةِ، والَّتِى يَقُولُونَ عَنْهَا أنَّها العَهْدُ القَدِيمُ » مِنَ « الكِتَابِ المقَدَّسِ » حَتَّى اسْمَ يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – نَفْسُهُ، لَمْ يَسْلَمْ مِنَ التَّحْرِيفِ، فأطْلَقُوا عَلَيْهِ اسْمُ يُوحَنَّا، وَنَعَتُوهُ بالمعْمِدَانِ؛ نَظَرًا لِمَا كَانَ يَقُومُ بِهِ مِنْ « تَعْمِيدِ » أىْ غَسْلِ النَّاسِ بِمَاءِ نَهرِ الشَّرِيعَةِ.

وَكُتِبَ لِيَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – أنْ يَمُوتَ شَهِيداً.. وإِلَيْكُمْ القِصَّةَ:

كَانَ يَحْكُمُ فِلسْطِينَ فِى ذَلِكَ الحِينِ حَاكِمٌ رُومَانِىٌّ، يُدْعَى « هِيرُودُس » وَكَانَ جَبَّارًا شَقِيًّا، شَدِيدَ الوَطْأَةِ عَلَى النَّاسِ، يَغْتَرِفُ اللَّذَّاتِ، وَيَقْتَرِفُ الخَطَايَا والسَّيِّئَاتِ، وَيَنْغَمِسُ فِى الذُّنُوبِ وَالْمُوبِقَاتِ، وكَانَ لَهُ زَوْجَةُ أخٍ تُدْعَى « هِيرُودِيَّا ». بَارِعَةُ الجَمَالِ، فَاتِنَةُ المَلامِحِ، وكَانَتْ لَهَا ابْنَةٌ هِىَ أجْمَلُ مِنهَاوأَكْثَرُ فِتْنَةً وإِغْرَاءً.. اسْمُهَا سَالُومِى.

وَأُغْرِمَ هِيرُودُسُ بِزَوْجَةِ أخِيهِ، وَفَتَنَتْهُ إِذْ كَانَتْ لا تَبْدُو لَهُ إلا فِى أكْمَلِ زِينَةٍ، وَتُظْهِرُ مِنْ جَسَدِهَا نِصْفَ العَارِىَ مَا يُثِيرُ أقْسَى القُلُوبِ وأصْلَبُهَا.

طَلَبَهَا إِلَى نَفْسِهِ، يُرِيدُ أنْ يَتَزَوَّجَهَا، فَوَافَقَتْ مُرَحِّبَةً، وَلَمْ تُمَانِعْ، وَرَاحَتْ تُبَادِلُهُ الغَرَامَ، وَتَحُثُّهُ عَلَى أنْ يُعَجِّلْ بِالقِرَانِ.

وَكَانَ لا بُدَّ مِنْ أخْذِ رَأى يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – وَفَتْوَاهُ، فاسْتَنْكَرَ ذَلِكَ، وَهَاجَمَهُ بِعُنْفٍ، إِذْ لا يَجُوزُ فِى شَرِيعَتِهِمْ أنْ يَتَزَوَّجَ الأخُ بِمَنْ كَانَتْ زَوْجَةً لأخِيهِ.



وَوَقفَ النَّاسُ، جَميعُ النَّاسِ إِلَى جَانبِ الحَقِّ والشَّرْعِ، وأيَّدُوا يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – فِى ذَلكَ إِلا قَليلاً منْهُمْ، ممَّن تَعَوَّدُوا المروق منَ الدِّينِ، وَمُنَافَقَةَ السُّلْطَانِ وَلَوْ عَلَى حسَابِ شَرْعِ اللَّهِ.

وَفِى لَيْلَةٍ لَيْلاءَ، اخْتَلَطَ فيهَا الحَابلُ بالنَّابلِ، ودَارَتْ كُئُوسُ الخَمْرِ عَلَى الحَاضرِينَ فِى قَصْرِ هيرُودُسَ، واحْتَشَدَ علْيَةُ القَوْمِ منْ أرْبَابِ المَنَاصبِ، وَأصْحَابِ المَرَاكزِ والدَّرَجَاتِ العَاليَةِ المَدَنيَّةِ والعَسْكَريَّةِ، وَدَارَتْ رُءُوسُهُمْ مَعَ الخمرِ، وَمَعَ سَالُومِى.. ابْنَةِ هيرُوديَّا.

لَقَدْ دَلَفَتْ سَالُومِى إِلَى الحَفْلِ، تَخطُرُ فِى ثَوْبٍ شَفَّافٍ رَقيقٍ، زَادَهَا فتْنَةً عَلَى فتْنَتِهَا، وَجَمالاً إِلَى جَمَالِهَا، وَكَانَتْ رَاقصَةً بَارعَةً، فَرَاحَتْ تَدُورُ وَتَدُورُ عَلَى أنْغَامِ المُوسيقَى الصَّاخبَةِ، وَكُلَّمَا اقْتَرَبَتْ منْ كُرسِيِّ عَمِّهَا الحَاكمِ، لَوَّحَتْ بِشَعْرِهَا الذَّهَبِىِّ، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا، فَيَزْدَادُ هَيَاجُ الحَاضرِينَ، وَيَزْدَادُ هيرُودُسُ هَوَسًا.

فَلَمَّا أتَمَّتْ رَقْصَتَهَا، وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَىْ عَمِّهَا، ثُمَّ أحْنَتْ رأسَهَا تَحيةً، وَقَامَ إِليْهَا مُصَفِّقًا، ثُمَّ سَألَهَا:

مَاذَا تَتَمَنِّينَ؟ وَمَاذَا تَطْلُبينَ؟ أنَا رَهْنُ إِشَارَتكِ يَا سَالُومِى الفَاتنَةُ.

وَكَانَتْ أُمُّهَا الخَبيثَةُ هيرُوديَّا قَدْ لَقَّنَتْهَا منْ قَبْلُ وأسَرَّتْ إِليْهَا أنْ تَطْلُبَ رَأسَ يَحْيَى – عَلَيْه السَّلامُ – لأنَّهُ هُوَ الَّذى يَقفُ حَجَرَ عَثْرَةٍ فِى طَرِيقِ زَوَاجِ هيرُوديَّا منْ هيرُودُسَ.

فَقَالَتْ سَلُومِى فِى دَلالٍ، وَقَدْ تَذَكَّرَتْ وَصِيَّةَ أمِّهَا:

لا شَىْءَ يُسْعِدُنِى، يَا عَمِّى العَزِيزُ، ولا أُرِيدُ هَدِيَّةً إلا رَأسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيًّا، فَهِىَ أحَبُّ مَا تُقَدِّمُهُ لِى هَدِيَّةً الآنَ.

واسْتَجَابَ المَلِكُ لِمَا طَلَبَتْهُ سَالُومِى، وأرْسَلَ جُنُودَهُ إلَيْهِ فَوَجَدُوهُ فِى مِحْرَابِهِ يُصَلِّى، فَقَبَضُوا عَلَيْهِ وأعْدَمُوهُ، وأتَوْا بِرَأسِهِ عَلَى صِينِيَّةٍ، وَالدَّمُ لا يَزَالُ يَنْزِفُ مِنْهُ، وَقُدِّمَ إِلَى سَالُومِى وكَأنَّهُ «الشَّبْكَةُ» الَّتِى يُقَدِّمُهَا الخَاطِبُ لِمَخْطُوبَتِهِ، هَدِيَّةً مِنْ هِيرُودُس، إِلَى أمِّ سَالُومِى «هِيرُودِيًّا» لِيَرْتَاحَ مِنْ ذَلِكَ الصَّوْتِ الصَّارِخِ بِتَحْرِيمِ زَوَاجِهَا مِنْ هِيرُودُس.

وَتَمَّ الزَّوَاجُ.. وَقِيلَ بَلْ مَاتَ هِيرُودِيًّا قَبْلَ أنْ يَتِمَّ الزَّوَاجُ، انْتِقَامًا مِنَ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ يَحْيَى - عَلَيْهِ السَّلامُ -.

وَصَعِدَتْ رُوحُ يَحْيَى إِلَى بَارِئِهَا عَزَّ وَجَلَّ فِى سَبِيلِ كَلِمَةِ الحَقِّ، فَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ، وَيَوْمَ اسْتُشْهِدَ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا.

واقرءوا يا أبنائى.. قول الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)﴾.

الأسئلة

١- اذكر باختصارٍ ما تعرفه عن حياة زكريا - عَلَيْهِ السَّلامُ؟

٢- كان ميلاد يحيى - عَلَيْهِ السَّلامُ - إحدى المعجزات الخارقة للعادة لماذا؟

٣- كان المسيح - عَلَيْهِ السَّلامُ - يقول لنبى الله يحيى - عَلَيْهِ السَّلامُ - أنت خيرٌ منى.. فما الدليل الذى استند إليه المسيح بكلامه هذا؟

٤- ما هو الكتاب المراد فى الآية الكريمة: ﴿**يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ**﴾؟

٥- لماذا يسمى النصارى يحيى - عَلَيْهِ السَّلامُ - باسم يوحنا المعمدان؟

٦- ما اسم الملك الذى كان يعيش فى زمن يحيى - عَلَيْهِ السَّلامُ - وما هى رغبته التى من أجلها قتل يحيى - عَلَيْهِ السَّلامُ - وما اسم المرأة التى كان يريد أن يتزوجها؟ ولماذا كان هذا الزواج حرامًا؟

٧- من هى سالومى؟ وما دورها فى مأساة يحيى - عَلَيْهِ السَّلامُ؟

درس النحو

المفعول المطلق

لكى نعرف المفعول المطلق لا بد أن نعرف أولاً شيئًا اسمه المصدر والمصدر هو التصريف الثالث للفعل الماضى، فمثلاً كلمة شَرِبَ فعل ماضى، فإذا أردنا تصريفها نقول: شَرِبَ.. يَشْرَبُ.. شُرْبًا، فالتصريف الأول هو شرب الماضى، والثانى هو يشرب المضارع، والثالث هو شُرْبًا المصدر، والمصدر يأتى مرفوعًا أو منصوبًا أو مجروراً، حسب موقع إعرابه فى الجملة.

ولكن له حالة لا بد أن يكون فيها منصوبًا وهو ما نسميه المفعول المطلق، وذلك إذا جاء فى جملة مفيدة، وسبقه فعل من تصريفه بلفظه أو معناه، كقولك مثلاً: شَرِبْتُ الماءَ شُرْبًا، فكلمة شُرْبًا هى مفعول مطلق منصوب.

والمفعول المطلق ينقسم إلى قسمين:

١- مبين لعامله، أى للفعل الموجود معه مثل: شَرِبْتُ المَاءَ شُرْبًا.

٢- أو مُؤَكِّدٌ لنوعه، مثل: أحْبَبْتُ مُدَرِّسِى حُبَّ الإِنْسَانِ لأبيهِ.

ثم ينقسم إلى قسمين آخرين:

الأول: أن يكون موافقًا لفعله الناصب له فى لفظه، أى تكون حروفه هى الحروف المكونة للفعل الذى نصبه مثل: ذَهَبْتُ ذِهَابًا.

الثانى: ما يوافق الفعل الناصب له فى المعنى ويخالفه فى الحروف كقولك: جَلَسْتُ قُعُودًا، فالكلمتان معناهما واحد، ولكنهما تختلفان فى حروفهما.. وكلمة «قعوداً» هى المفعول المطلق.

ومع التدريب ستتعرف أكثر على إعراب المفعول المطلق وأقسامه.

وإلى اللقاء يا أبنائى فى القصة القادمة

(واذكر فى الكتاب مريم)

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث